أغاني الأطفال: المضمون والطفل من شوشو إلى نانسي عجرم نموذجًا

إعداد ليلى خليل خليل إبراهيم علي طالبة دكتوراه علوم اجتماعية
المعهد العالي للدكتوراه –الجامعة اللبنانية
leilaali60@gmail.com

تمهيد

الأغنية رفيقة الإنسان من المهد إلى اللحد. تبدأ مع أهازيج الأمهات، تُهدهد الطفل كي ينام من يومه الأوّل، وتنتهي مع الحدا والندب الذي يُرافق مراسم العزاء. لذلك عرفت الشعوب كافة، الغناء بكافة أشكاله، واستخدمته للتعبير عن المواقف الحياتية المتعدّدة والمختلفة، وكانت أغاني الأطفال واحدة من هذه الأشكال.

إنّ ما يُميّز الأغنية أنّها تُخاطب حاسة السمع وحدها، لذلك هي رفيقة الطفولة من سني المهد إلى الطفولة المتأخرة، وما يُميّزها أيضًا أنّ الطفل يلتقط النغم فيتمايل معه، يرقص، يضحك، يقفز، قبل أن يلتقط الكلام، ويلتقط الكلام فيُردّده كيفما اتفق، بحسب العمر، فيُحرّف اللفظ ويأكل الحرف، ولكنّه يُردّده بفرحٍ وسعادة، كلّ ذلك قبل أن يُدرك المعنى. وأغنية الأطفال تنبع من شعرٍ جيّد للأطفال ومن موسيقى تحمل فرحًا لهم. وشعر الأطفال الجيّد هو الذي يمزج الخبرات ويربط بين تجربة الشاعر والطفل. وهو لذلك يربط ما بين عواطف الأطفال وأفكارهم ويُثير فيهم ما يتضمّنه من صور شعورية وانطباعات فنّية واستجابات عاطفية. ويجب أن ينال إعجاب الأطفال مباشرة وعليه أن يُدخل البهجة إلى نفوسهم. وحتى ينجح شاعر الأطفال لا بدّ أن يمزج تجربته الشعرية بمعايشة الأطفال (أبو معال، ٢٠٠٥ م، صفحة ١٩٩). كما أنّ البداية الأولى لاحتكاك الطفل في بيئته، ترتبط بأحد أشكالها، باللغة المحكية والكلمات الأولى التي يسمعها الطفل من أمّه، أو محيطه، من خلال المناغاة والهدهدة والأدعية والبأبأة والترنيمات والمداعبة والألعاب البسيطة مثل أغنية "يا باح يا باح" وغيرها. وأغاني الأطفال تستخدم كلمات تتردّد على مسامعهم، ضمن تعبيرات حنونة وألحان موسيقية بسيطة؛ فتتسرّب إلى مسامعهم ومشاعرهم، وتؤثّر فيهم، وتُساعدهم على نومهم أو تهدئتهم أو ملاعبتهم. فالغناء هنا هو الترنيم بالكلمات الموزونة التي تصحب عادة مداعبة الطفل وملاعبته وتحريكه في المهد لينام (الموسى، ٢٠١٠ م، صفحة ٤٦٨)، (أبو سعيد، ١٩٨٢، صفحة ١٩). أمّا الموسيقى فهي لغة عالمية، وهي تحمل ثقافة وتراث الشعوب، الأمر الذي يجعل للموسيقى رابطًا قويًا بمناهج التعليم، حيث إن التربية تهدف أساسًا إلى نقل الثقافة والتراث للأجيال الناشئة وإلى تهيئة الطفل للتكامل الفاعل في محيطه الاجتماعي. وبما أننا ننظر إلى البعد التربوي للأغنية يجب ألا يغيب عن ذهننا أنّ المبادئ العامة للتعليم في مرحلة الطفولة المبكّرة تجمع المواد الدراسية كلّها بالأهميّة نفسها، كما أنّنا نعمل في هذه المرحلة على تنمية طاقات الطفل ومهاراته الجسدية، الاجتماعية، العاطفية والذهنية، وذلك من أجل تكوين شخصية متوازنة (J.M.Gautier، ٢٠٠٨). إنّ اللحن الحسن والصوت الجميل هما أساس نجاح الأغنية ووصولها إلى قلوب الأطفال وتأثيرها فيهم؛ لأنّ السماع يُثمر "حالة في القلب تُسمّى الوجد، ويُثمر الوجد تحريك الأطراف، إمّا بحركة غير موزونة فتُسمّى الاضطراب، وإمّا موزونة فتُسمّى التصفيق والرقص" ومن هذا المنطلق نفهم أثر الأغنية في الطفل ولماذا اختارها المربّون وسيلة ناجعة لتربية السلوك وتقويمه، وتزويده بمعارف جمّة، هذا الأثر الذي يكمن سرّه في الصوت الموزون المصحوب بمؤثرات موسيقية وأنغام عذبة (الموسى، ٢٠١٠ م، صفحة ٤٧٠).

ومن تجربتي الشخصية في مجال التعليم أني كنت أدرّس اللغة الفرنسية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة وذلك كلغة ثانية ولغة ثالثة بعد الإنكليزية، حيث كنت أحوّل تصريف الأفعال (conjugaison)، والحقل المعجمي (champ lexical) لأي

موضوع إلى ترنيمة وأغنية نصفق معها ونتمايل ونرقص معها ما يؤدّي إلى حفظها وسهولة استخدامها. وأذكر أني التقيت أحد التلاميذ الذين علّمتهم في المرحلة الابتدائية في مدرسة أخرى في صف الاجتماع والاقتصاد في المرحلة الثانوية حيث كنت أدرّس مادة علم الاجتماع، فذكّرني باسمه، وبدأ يُخبر زملاءه عن التعليم بالأغاني وبدأ يُغني أغنياتنا التي اخترعناها لحفظ الدروس، اذكر ذلك لأؤكّد على أهمية الأغنية في تعليم المواد الدراسية وليس فقط في التنشئة الاجتماعية. ومن تجاربي في هذا المضمار أيضًا أنّي كنت وابنتيّ، وقبل دخول الروضة، نحفظ أكثر من مئة كلمة باللغة العربية ومعناها بالفرنسية وذلك عن طريق الغناء ضمن مجموعات، وكانت الواحدة منهما، وبعد أن أصبحت في الصفوف العُليا، عندما تحتاج معنى لكلمة ما تُردّد الأغنية حتى تصل إلى الكلمة المطلوبة. ما ذكرت هاتين التجربتين إلّا لأدلّل على أهميّة الأغنية في التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية، فالأغنية تقرّب الطفل من محيطه، وتُسهّل له تعلّم سلسلة طويلة من المهارات الضرورية لنموّه. هي إذًا أداة تربوية مهمة في متناول الأشخاص الذين لهم عن قرب أو عن بعد صلة في تنشئة الطفل.

من هنا ننطلق لنقول بأنّ أغاني الأطفال هي واحدة من نقاط الانطلاقة الأولى للطفل في اكتشاف عالمه الصغير الذي يدور في فلكه، وهي بداية تماسه مع المجتمع ومكوّناته وثقافته. وهذا ما يقودنا إلى طرح التساؤلات التالية:

–إلى أيّ مدى استطاعت أغاني الأطفال، التي أدّاها فنّانون لبنانيون، أن تُساهم في التنشئة الاجتماعية للطفل؟

–إلى أي مدى ساهم مضمون أغاني الأطفال، التي أدّاها فنّانون لبنانيون، في تلبية حاجة الطفل إلى اكتشاف عالمه الصغير والمجتمع الذي يعيش فيه؟

مفهومان اجتماعيان تنطلق منهما هذه الورقة البحثية: مفهوم التنشئة الاجتماعية ومفهوم أغاني الأطفال. أمّا التنشئة الاجتماعية فمفهوم تناوله علماء الاجتماع والنفس والتربية بالتشريح والتحديد، ونحن إذ نرتكز عليه فإنّنا نستخدمه للدلالة على كلّ المعارف والقدرات والخبرات، الحياتية اليومية والاجتماعية والثقافية، التي ينقلها الراشدون إلى الطفل، ويتمّ تدريبه عليها وترسيخها في شخصيته وذلك بهدف مساعدته على التفاعل مع محيطه المادي والإنساني، مستخدمين لذلك مجموعة من الوسائط نتناول منها في هذه الورقة "أغاني الأطفال".

يُشير مصطلح أغاني الأطفال في هذه الورقة إلى كلّ شعر كُتِب للطفل ولُحِّن للطفل وغنّاه الكبار أو الصغار. وتستند تقنية تحليل المضمون على الفكرة العامة للأغنية والأفكار الأساسية، مع الإشارة إلى المصطلحات اللغوية الجديدة التي تُضاف إلى القاموس اللغوي للطفل.

إنّ هذه الورقة البحثية تهدف إلى الكشف عن مضمون أغاني الأطفال التي أدّاها فنّانون لبنانيون في محاولة للرد على التساؤل المطروح. وسوف ترتكز على عيّنة تتضمّن أغاني للفنان حسن علاء الدين "شوشو"، ماجدة الرومي، إلياس الرحباني، وريمي بندلي ونانسي عجرم، صدرت في أشرطة خاصة بالأطفال، تمّ اختيارها وفقًا لمعيار الانتشار فوصلت إلى كلّ أطفال لبنان.

تناولت هذه الورقة البحثية ٣٣ أغنية تمّ تصنيفها إلى خمس فئات وفقًا لمعيار الموضوع: أغاني الترفيه، الحيوان، الأبناء والأهل، التربية والتعليم والمدرسة، الحرب والوطن. يهدف هذا التصنيف إلى تنظيم الدراسة، إذ لا توجد حدود ثابتة لكلّ فئة، فالأغنية الواحدة يُمكن أن تصنّف في أكثر من فئة ولكنّها وُضعت في الفئة التي تُعبّر أكثر من غيرها عن مضمونها.

القسم الأوّل: أغاني الأطفال وعلاقتها بتنشئة الطفل

كلّ أغنية تُكتب للطفل تنبع من فكرة وتحمل هدفًا أو أهدافًا عدّة، والتنشئة الاجتماعية إحدى هذه الأهداف، فالتنشئة الاجتماعية للطفل التي تبدأ منذ لحظة الولادة تمرّ عبر وسائط متعدّدة والوسيط الأوّل الذي يُخاطب أحاسيس الطفل هو الأغنية.

أولًا: أغاني الأطفال: مسيرة أجيال

تنسلّ الأغنية أينما كان، في كلّ بلد، في كلّ حضارة، هي ترتبط بكلّ لحظة من الحياة اليومية، تتناول كلّ المواضيع، وإذا كان الجميع يُردّدها فذلك لأنّها تُجسّد الذاكرة الجماعية للشعوب. من أشهر أغاني الأطفال باللغة العربية على مر العصور: ذهب الليل، محمد فوزي، ماما زمانها جاية، محمد فوزي، يللا تنام ريما، فيروز، اضحك اضحك، محمد ضياء الدين، البالونة، محمد ضياء الدين، توت.. توت.. قطر زغنطوط، عبد المنعم مدبولي وهدى سلطان في بداية الثمانينيات في مسلسل «لا يا ابنتي العزيزة»، أهلاً بالعيد، صفاء أبو السعود، كان في فراشة، نيللي، كان عندي بغبغان، وردة الجزائرية، إبريق الشاي، سيد الملاح، البنات البنات، سعاد حسني، ألف بيه وبوبايي، شوشو (قاسم، ٢٠١٣).

تقطع أغاني الأطفال الأزمان والأجيال، هي توفّر الاستمرارية، هي قاسم مشترك ما بين كبار السن والأطفال، هي بهذا المعنى وسيلة تواصل ما بين الماضي والحاضر والمستقبل. تمرّ السنون وأغاني الأطفال باقية، ينقلها الآباء إلى الأبناء، متذكّرين طفولتهم. تنتقل أغاني الأطفال شفاهية، حاملةً في طيّاتها المعارف المختلفة والعادات الشعبية، كعناصر ثقافية خاصة بهذا الشعب أو ذاك. إنّه، وبالتأكيد، لمن المهم أن نعرف ثقافتنا وماضينا، أن نعرف من أين أتينا، فهذا مهم لمعرفة الذات وكذلك لمعرفة الآخر، وهذا ما تُساعد أغاني الأطفال على تحقيقه عند الأجيال الجديدة (J.M.Gautier، ٢٠٠٨).

ولقد أشار الباحث السوري ياسر المالح في كتابه "الموسيقى والأغنية العربية، أعلام وقوالب وتأثير وتطوير" إلى أنّ أوّل باحث عربي اهتمّ "بأغاني المهد" في القرن الماضي هو الموسيقي العراقي حسين قدوري الذي جمع أغاني الأطفال وألعابهم الشائعة في العراق ضمن كتاب بعنوان "لعب وأغاني الأطفال في الجمهورية العراقية" صدر نهاية السبعينات، تناول فيه أغاني المهد وترقيص الأطفال وأغاني العيد، وتكمن قيمة الكتاب في أنّه أورد كلمات الأغاني مدوّنة بالنوتة الموسيقية.

وأشار المالح إلى أن المطربة أم كلثوم كانت من الأوليات اللواتي غنّين في القرن العشرين للطفل في مهده، وكان ذلك سنة ١٩٣٧ حين غنّت أغنية بعنوان "نامي" من كلمات أحمد رامي وألحان محمد القصبجي أدّتها في فيلم "نشيد الأمل"، وكانت بذلك أول أغنية سينمائية للأطفال غنّتها مطربة كبيرة لشاعر شهير وملحن كبير. وتمرّ السنوات فإذا بالفنان المصري محمد فوزي يُغنّي، نهاية الخمسينات، أغنيته الشهيرة "ماما زمانها جيّة"، كما غنّت فيروز سنة ١٩٦٧، في فيلم "بنت الحارس"، أغنية "يللا تنام ريما" من كلمات وألحان الأخوين الرحباني، كذلك ساهمت المطربة الراحلة فايزة أحمد بالعديد من أغاني المهد الموجّهة إلى الأطفال، فكانت تُغنّي لابنها محمد "إلهي يُحرسك" أو تغني لابنتها "بنتي أمورة وحلوة" أو أغنية أخرى بعنوان "يللا ينام ابني" وغيرها. كذلك غنّت صباح "حبيبة أمّها"، و"أمورتي الحلوة" (المجدوب، ٢٠١٣).

ثانيًا: أغاني الأطفال: دورها في التنشئة الاجتماعية للطفل

١- الطفل والأغنية

تتنوّع أغاني الأطفال ما بين أغاني التسلية والترفيه، أغاني المناسبات والأعياد، الأغاني الوطنية والدينية، الأغاني الاجتماعية والتربوية التثقيفية، والأغاني التعليمية. كما ترتبط أغاني الأطفال بالمرحلة العمرية للطفل فما يناسبه من كلامٍ ولحنٍ وموضوعات في مرحلة لا يُناسبه في أخرى. فالطفل ما بين ٣ وخمس سنوات يكون في مرحلة التطوّر الواقعي المحدود بالبيئة، ويناسبه من الغناء ما ارتبط بما يُحيط به من حيوانٍ أو نباتٍ أو أشخاصٍ مألوفين لديه (أبو معال، ٢٠٠٥ م، صفحة ٢٢٣)، كأن تتناول أغانيه البيت والشجرة والكلب والهر، وأن تترافق مع كلماتٍ تُعبّر عن الأصوات "عو عو"، "هو هو"، "نو نو"، "كوكوكوكو"، "صو صو"، أو أصوات الريح والبرد مثل " حوحو"، .... فيُرافق الطفل المغنى بالحركة وبتقليد الأصوات.

ومن سن ٥ إلى ٩ سنوات، يكون الطفل في مرحلة نمو الخيال الحر، ويُناسبه في هذه المرحلة الغناء المتصل بالقصص. ويجب أن نستغل يقظة الذهن وتفتح الحس فنختار له أغاني هدفها ثقافي، يرتبط بمعرفة البلدان، ووصف الحقائق العلمية، ممتزجة بجانب من الخيال، مثل أغنيات عن الشمس، القمر، النجوم، البحار، الأسماك، الفراشات. كما يجب في هذه المرحلة بث الروح الدينية، فتأتي الألحان مسايرة لمعانيها، ففي الابتهال والدعاء تكون الألحان مليئة بالخشوع، كما تأتي الألحان الوطنية تدعو للحماس وتنمية المشاعر تجاه الوطن، وكذلك فيجب أن تكون بعض الأغاني والأناشيد فكاهية تدعو إلى المرح بالحركة والكلمة.

ويمتاز الأطفال ما بين سن ٩ إلى ١٣ سنة بحبّ المغامرة والبطولة، وحينئذٍ يُناسبه من الغناء والأناشيد ما يُمجّد البطولات، وما يتصل بالفروسية والشجاعة والتضحية، على أن تُساهم في تربية الناشئة على حبّ الوطن (أبو معال، ٢٠٠٥ م، صفحة ٢٢٤).

٢- أغاني الأطفال: أهميّتها

لا شكّ بأنّ أغاني الأطفال تحمل أهدافًا شتّى منها الجسدي والعقلي والأخلاقي وغيرها. ولقد تناولت أبحاث كثيرة أهميّة أغاني الأطفال في تكوين الطفل، فركّز بعضها على الفوائد النفسية أو الجسدية أو التربوية أو التعليمية أو التثقيفية الدينية، الوطنية، الأخلاقية وغيرها. ومن فوائدها العامة نجد الترفيه والتسلية والمتعة للطفل، كذلك فهي تُساهم في تنمية المهارات الحركية والإيقاعية، الثقة بالنفس والجرأة، الإصغاء والتركيز والذاكرة، الالتزام والعمل الجماعي، التحكم بنبرة الصوت واللفظ الصحيح. ومن فوائدها أيضًا أنّها تُساهم في الضبط والعمل المدرسي، حيث تُدرّب بعض الأغاني الأطفال على حسن الانتظام في الصف، وعلى حسن السير في مجموعات وكيفية الدخول والخروج. وكذلك فهي من الناحية البدنية تمرين للأوتار الصوتية، ومن الناحية العقلية تُنمّي الأغنية الحس الإبداعي عند الأطفال، ومن الناحية الأخلاقية فالأغاني والأناشيد عنصران هامان للسموّ الأخلاقي، ويدفعان إلى حبّ الحياة وحبّ البشر، وينشران عبير الأخوّة الإنسانية والبطولة الوطنية (أبو معال، ٢٠٠٥ م، صفحة ٢١٠). ونظرًا إلى أهميّة الشعر الغنائي للطفل، عوّلت التربية عليه، وأولته عناية خاصة، لأنّه يُحقّق أهدافها. والشعر عندما يُغنَّى من شأنه أن يُحقّق فوائد مُتعدّدة؛ نفسية وتربوية؛ مثل بروز روح التنظيم في المدرسة، لاعتماده على الترديد الجمعي في حصص النشيد والموسيقى والمحفوظات، كما يعود على الأطفال بفوائد صحّية؛ حيث يُقوّي الحناجر، ويُروّض مجاري الأصوات، ويُنظّم التنفّس، ويُدرّب الآذان على التقاط النغمات، كما يُعوّد على أدب الإصغاء، ويُنمّي الذوق والإحساس بالجمال، وترقيق الشعور وتهذيب الأحاسيس، والتحبيب بالفضائل، والنظر إلى الحياة نظرة واعية متفائلة (الموسى، ٢٠١٠ م، صفحة ٥١٠). كذلك تدرّب الأغاني الطفل على التقليد، والتقليد يحتلّ مكانةً مرموقة في النمو الاجتماعي للطفل في كلّ ما له علاقة بالسلوك (J.M.Gautier، ٢٠٠٨). وتعمل أغاني الأطفال وأناشيدهم على غرس الروح الجماعية وحبّ التعاون، وتُربّي الطفل على العمل الجماعي والأدوار المحدّدة، كما أنّها وسيلة لتنمية الثروة اللغوية واكتساب معارف علمية، وهي أيضًا وسيلة لتهذيب الطبع ومعرفة السلوك المرغوب فيه، وتنمية الجوانب الإيجابية في شخصية أطفالنا (الهاشمي، ٢٠١٤ م، صفحة ٢٩٩)

وأغاني الأطفال وأناشيدهم لها قيمتها وأهميتها عند كلّ الشعوب، فهي التي تخط الأساس الأوّل لتربية الإنسان، وطبعه على تذوّق الجمال اللحني والتأثّر بمعاني الأغنيات التي تتغلغل إلى حسّه وإدراكه، وترسم له المثل والمبادئ التي يجب أن ينشأ عليها الإنسان منذ بداية طفولته. (أبو معال، ٢٠٠٥ م، صفحة ٢٢٣)

ثالثًا: **أغاني الأطفال: مجالاتها ومواضيعها**

١-أغاني الأطفال والقيم والأخلاق

من أهمّ أهداف أغاني الأطفال زرع القيم والأخلاق النبيلة عند الأطفال منذ الطفولة المبكّرة. وفي هذا المجال، تُستخدم الأغاني والأناشيد لتثبيت التوجيهات التربوية التي تدعو إلى الفضائل في التعامل مع الآخرين، وجعل التصرفات اللائقة عادات راسخة يقوم بها الطفل بصورة تلقائية بعد اكتسابها في مراحل مبكرة من عمره، ونذكر في ذلك أمثلة كالنظافة، والصدق، والأمانة، وتحية الآخرين، واحترام الكبار والمعلمين.ومن الأشعار التي تشجع على النظافة: الولد النظيف \ منظره لطيف \\ يحبّه الأغراب \ والأهل والأصحاب\\ (قاسم، ٢٠١٣)، كذلك فهي تُقدّم القيم الإنسانية كالعدل والمساواة والحرية، وقيمة الوقت في أغنية "تك تك متل الساعة"، بالإضافة إلى قيمة العلم والتعليم والتعلّم، والمدرسة والأستاذ منذ الروضة (الموسى، ٢٠١٠ م، صفحة ٤٣٨).

٢-أغاني الأطفال والتعليم

في مرحلة الدراسة المنتظمة، أي مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة، تبدأ مرحلة جديدة من مرحلة الغناء والأناشيد في حياة الطفل، مرحلة الأغاني المدرسية الهادفة، وهي هادفة، لأنّها وُضعت لمرحلة عمرية معيّنة، عن قصد، بواسطة علماء التربية، وعلماء النفس، أو بتأثير من نظرياتهم وأفكارهم، وذلك ضمن البرامج المدرسية، والغرض منها تحقيق أهدافها التي من أجلها اختيرت (الموسى، ٢٠١٠ م، صفحة ٤٧١). تتناول الأغاني والأناشيد في هذا المجال موضوعات لها علاقة بالمهارات والمعارف التي يدرسها الأطفال في المدارس، مثل القراءة، والحساب، واللغة الأجنبية، والعلوم المختلفة، والاجتماعيات. ولم تخل طرق التدريس القديمة من وسائل التعلم التي أثبتت نجاعتها، فالعرب صاغوا كثيرًا من قواعد اللغة وكثيرًا من الموضوعات في أشعار ينشدونها ومن أمثلتها ألفية ابن مالك، ونذكر هنا أغنية حروف الجر مثلاً: هاك حروف الجر وهي: من إلى \\ في عن على مذ منذ رب وخلا \\ حاشى وكافٌ، لامٌ، باءٌ زائدة \\ واوٌ وتاء القسم في المنتهى (قاسم، ٢٠١٣). بالإضافة إلى أغنياتٍ كثيرة مثل "ألف ب ت ث ج ح خ " لمحمد ضياء الدين، وأغنية شوشو "الف ب بوبايي\ قلم رصاص ومحايي\\ أنا بكتب على اللوح وإنتو ردوا ورايي" وغيرها لتعليم الأبجدية مع بعض المصطلحات.

لا يحتاج المدرس في رياض الأطفال أو في الصفوف الابتدائية إلى أغنية جاهزة تُساعده على تعليم هذه المعلومة أو تلك، يكفي أن يُعطي نغمًا مُحبّبًا لما يُريد إيصاله إلى الأطفال وترسيخه في ذاكرتهم من معلومات ومبادئ علمية فيحصل على نتيجة مضاعفة.

٣-أغاني الأطفال واللغة

تناولت أبحاثٌ عديدة مسألة اللغة في أغاني الأطفال وذلك من ناحيتين، ناحية مميّزات الكلمة والمفردة المستخدمة، وناحية وظيفة اللغة المستخدمة في نمو الطفل. فمن الناحية الأولى على أغاني الأطفال أن تتناسب مع الحقل المعجمي للطفل المتوافق مع العمر، وأن تُغْنيه بما هو مشتق من الألفاظ التي يستخدمها ويحتاجها في حاجاته اليومية كي يستطيع فهم المعاني التي ترمز إليها هذه الألفاظ. ومن الناحية الأخرى فإنّ اللغة المستخدمة في أغاني الأطفال تُشكّل مصدرًا للغة الطفل في تواصله مع الآخرين في المستقبل، وهي كذلك تُعينه على اللفظ الصحيح والتمكن من مخارج الحروف وتعديل وتصحيح النطق لديه.

يرى (lescout) أن الطفل لا يتعلّم اللغة، هو يلتقي بها، يُركّبها، يجدها بنشاطٍ شخصي. والطفل لا يستطيع اكتساب لغته الأم إلّا من خلال واقع اجتماعي معاش، وأغاني الأطفال تُساهم في هذا الاكتساب، وتُعتبر أداة مهمة له (Lescout M, 1985.). وفي دراسة حول التأثيرات غير المباشرة للغناء على النشاط اللغوي للطفل، يرى (kassai et konopezynski) أنّ الغناء

يُنمّي عند الطفل التواصل الآمن، السهولة في الدخول في الكلام وذلك بفضل مفردات لغوية غنية وحيوية، وبفضل تمكّنه من استعمال اللغة اجتماعيًا. ولقد أثبتت الأبحاث أنّ الأطفال الذين يعرفون أغاني للأطفال يتفوّقون على الأطفال الذين لا يعرفونها، ذلك لأنّ هذه الأغاني تُسهّل لهم تعلّم أساسيات القراءة والكتابة، كما تُساعد على حفظ كلمات جديدة وتنمية الذاكرة، بالإضافة إلى أنّها وسيط أساسي للطفل في تعلّم لغة أجنبية (Kassaï I, 1995). (J.M.Gautier، ٢٠٠٨)

٤-أغاني الأطفال والوطن والانتماء

هي الأغاني والأناشيد التي تتناول موضوعاتها حب الوطن والانتماء إليه والتضحية في سبيله، وإحياء ذكرى أبطاله ومآثرهم. ومن الأمثلة على ذلك نشيد جيشنا: إنّي أحبّ جيشنا \ لأنّه يحمي الوطن \\ يرعاه ربّي دائمًا \ يحيا لنا طول الزمن \\ (قاسم، ٢٠١٣). وللأغاني والأناشيد الوطنية دورٌ مهم ألا وهو أن نُحضّر الطفل للمهام الوطنية التي تنتظره، فنحن ندرّبه من خلال الأغنية على حمل قضايا الوطن منذ الصغر، في أغنية أوّلًا، إلى أن يستطيع التصدّي لها بالفعل متى كبُر.

لا شكّ بأنّ النشيد الوطني في أي بلد هو أوّل نشيد غنائي يُدرَّب الأطفال عليه منذ الروضة الأولى ويؤدّونه في عيد الاستقلال، وهو نشيدً مميّزً لأن أداءه يترافق مع طريقة وقوف محدّدة ومع رفع التحية للعلم، وقد يترافق مع ارتداء ثيابٍ عسكرية ما يُعطي له مهابةً وجلالا يُدركها الأطفال بالفطرة وببراءة الطفولة. وأغاني الوطن لا تقتصر على النشيد ولكنّها تتناول مواضيع عديدة تحثّ على حبّ الوطن وتمجيده، كأغاني الجيش والعلم والأرض والأغاني التي تتغنى باسم الوطن. ومن الملاحظ أن الفنانين اللبنانيين الذين قدّموا أشرطة كاملة للأطفال لم يُقدّموا الأغنية الوطنية المخصصة للطفل باستثناء ريمي بندلي، ربّما لأنّ أغاني الوطن تحديدًا لا تحتاج أن تكون أغاني للأطفال وُضعت خصيصًا لهم وإن كانت أناشيد وطنية كثيرة كُتبت ولُحّنت للأطفال، فكلّ الروضات والمدارس، في المناسبات الوطنية يُدرّبون الأطفال على الأغنيات الوطنية المشهورة، والتي أصبحت مسلّمات وطنية، ونذكر في لبنان أغاني وطنية تُستخدم كثيرًا في المدارس مثل "تسلم يا عسكر لبنان يا حامي استقلالنا" لصباح، "بكتب اسمك يا بلادي عالشمس الما بتغيب" لجوزيف عازار، "بحبك يا لبنان، "بتتلج الدني وبتشمس الدني" لفيروز، "غابت شمس الحق" لجوليا، "راجع راجع يتعمّر راجع لبنان" لذكي ناصيف، واللائحة تطول في لبنان وفي جميع بلدان العالم.

٥-أغاني الأطفال والترفيه

الفرح والطفولة مفهومان متلازمان، وليس أفضل من الأغنية لإضافة المتعة إلى يوميات الطفل قبل أيّ أهداف أخرى. ويعمل كلّ من المؤلّف والملحّن على وضع الكلام واللحن الذي يُقدّم الفرحة والضحكة إلى الطفل.

ففي الجانب الترفيهي هناك أغانٍ وأناشيد ممتعة للنفس مريحة لها دون الخوض في أهدافٍ بعينها، ومثل هذه الأغاني والأناشيد يبتكرها الأطفال بأنفسهم أحيانًا وبعضها موضوع ومؤلف حسب نظرة تربوية محددة. (قاسم، ٢٠١٣)

٦-أغاني الأطفال والدين

الأناشيد الدينية تُساعد الطفل على التقرّب من الله، والإيمان وذلك عند الشعوب جميعها. وتُستخدم لتعريف الطفل على الأنبياء والرسل، وأولياء الله الصالحين والقديسين، وكذلك تدريبه على مبادئ دينه كالصوم والصلاة والحج، وعلى معرفة المناسبات الدينية وأهميّتها وغير ذلك ممّا يرتبط بالدين وتعاليمه. ومنها مثلًا "طلع البدر علينا"، "أهلا رمضان" والمدائح النبوية، وليس أشهر من أغاني الميلاد وتراتيل الفصح والسيدة العذراء وغيرها.

رابعًا: أغاني الأطفال: الأهمّية في البيت والمدرسة

١-الأغنية في البيت:

يبدأ الغناء للطفل منذ لحظة الولادة، وتبدأ مع الحمل عند بعض الأمّهات، وفي هذه المرحلة تُسمّى أغاني المهد. ليس هناك من مجتمع يخلو من أغانٍ وترانيم تتغنّى بها الأمهات لأطفالهم مهما كان مستوى الأسرة الثقافي أو الاقتصادي ومهما كانت بيئة الأسرة سواء كانت في الريف أو في الحضر؛ وتُغنّي الأمهات تلك الأغاني عندما يحين موعد نوم الأطفال أو عند تغذيتهم أو تدليلهم، وهكذا تهدأ مشاعر الأطفال ويجلب غناء الأم السرور إليهم. وتُعتبر أغاني المهد هذه مقدّمة تُهيّء الأطفال لحب الموسيقى وتذوّقها. والطفل يتمرّن منذ الطفولة على الإحساس بالنغم الجميل، فهو ولا شك يَطرب للأنغام التي تتضمّنها الترنيمات التي تُردّدها أمّه على مسامعه منذ شهوره الأولى، فيغفو على أنغامٍ معيّنة ويرقص على أنغام، ويهدأ عندما يسمع أنغامًا أخرى (ابراهيم،، ٢٠١٨، صفحة ٢٧١). ففي هذه المرحلة، يُلاحظ وجود الأغنيات الناعمة التي تهدهد الطفل، وترنيمات الأم وأغانيها وهو في حجرها، حتى يغلبه النعاس. وعلى الرغم من بساطة كلمات هذه الأغنيات، إلّا أنّها معبّرة، وتفي بالغرض المطلوب، بدءًا بالاستئناس لدى الطفل؛ هذا الاستئناس الذي من خلاله يشعر بالأمن والاطمئنان، المُفضي إلى فعل النعاس. أضف إلى ذلك تعويد الأذن على التنغيم والترنيم اللذين إن توقّفا قبل الاستغراق في النوم، طالب الولد باستئنافهما (الموسى، ٢٠١٠ م، صفحة ٤٧٠) ، وهذا يدلّ على أن الطفل يَطرب للكلام الملَحَّن ويستجيب بحركاته وابتساماته للإيقاع الملَحَّن قبل أن يُتقن الكلام أو يُدرك المعنى. والأم إذ تُمارس هذا الغناء مدفوعةً بغريزة الأمومة لمساعدة طفلها على النوم أو التوقف عن البكاء أو الفرح، ولكنّها قد لا تعي أنّ الطفل يحتاج للموسيقى، لأنّه يحتاج إلى قنوات يُعبّر فيها عن نفسه، ويصب فيها انفعالاته، وهي في غنائها له تُشبع حاجته هذه (ابراهيم،، ٢٠١٨، صفحة ٢٧١). و"أغاني المهد" كانت سائدة منذ العهد الجاهلي وفي كل العصور وهي لازمة من لوازم الأمهات، ومعظمها يوَرّث جيلًا بعد جيل في كلّ بلد(المجدوب، ٢٠١٣).

وتُعنى الدول المتقدّمة بأغنيات الأطفال التي يُطلقون عليها اسم "برسوز" أي أغنيات المهد، فلقد ألّف العالم الموسيقي "براهمس" لحنًا خاصًا مشهورًا من هذا النوع من الأغاني، كما وضع "روسو" أيضًا أغنية تُغنّى للطفل وهو في مهده، ولا ننسى مدى اهتمام "فروبل" بأغاني الأمهات وأناشيد الأطفال، فقد ألّف كتابًا يضمّ عددًا من الأغاني والأناشيد التي اعتبرها ذات وظيفة هامة في تربية الطفل في طفولته المبكّرة. . (ابراهيم،، ٢٠١٨، صفحة ٢٧٤). ولوحظ أنّ هذه الأغاني عند الشعوب متشابها في موضوعاتها، ومهما تكن لغتها أو لحنها، فإنّها تدور حول المعاني ذاتها: الرجاء من الولد أن ينام نومًا بحراسة الله أو الملائكة أو الرسل، الوعد بهدية أو مكافأة على سلوكه الحسن، قصّ بعض الحكايات، تخويف الطفل في حال عدم نومه، إبداء الإعجاب به وتعداد صفاته (الموسى، ٢٠١٠ م، صفحة ٤٦٨)، (أبو سعيد، ١٩٨٢، الصفحات ٣٣-٤٦) ومن أشهر أغاني النوم العربية على الإطلاق "يللا تنام ريما" لفيروز، وقد لا تكون أمّ عربية بشكل عام وكلّ أمٍ لبنانية بشكل خاص، إلّا وغنت لطفلها ذكرًا كان أم أنثى هذه الأغنية.

ومن الأغاني التي تتردّد في البيت، الأغاني المرتبطة بأسماء الأولاد والتي يُردّدها أفراد العائلة عند تدليل الطفل وتغنيجه ومنها ما أخذ رواجًا كبيرًا، فنذكر للسيدة فيروز " يارا اللي جدايلها شقر"، و"حبيبة بابا رشا" لمحمد ثروت، و"سونا أمورتي يا حلوة جرى إيه ليه زعلانة" لمحمد ضياء الدين، و"نانا الحلوة نانا" لشوشو، وغيرها، تردّدها الأمّهات ويتفنّنَ بتبديل الأسماء، فتصبح أغنية خاصة لكلّ طفلٍ تُغنّى له.. ولا ننسى كذلك أغاني أعياد الميلاد وأشهرها "سنة حلوة يا جميل" لصباح، و"يللا حالًا مالًا بالًا حيّوا أبو الفصاد / حيكون عيد ميلادو الليلة أجمل الأعياد" لعبد المنعم مدبولي.

٢-الأغنية في المدرسة

أ-دورها وأهميّتها

تلعب الأغنية دورًا مهمًا في استثارة فضول الطفل ورغبته في تعلّم موضوع ما. فقد أثبتت الدراسات والأبحاث أن الغناء كوسيلة يُعزّز تعلم الأطفال في مرحلة الروضة، ذلك أنّ للموسيقى والغناء في المدرسة بشكل عام وفي رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية بشكل خاص فوائد جمة تربوية وتثقيفية، إذ يُمكن أن تدور الأناشيد –مثلاً–حول الموضوعات التي ينبغي للطفل أن يعرفها أو أن تكون أداة لتكوين قيمه الخلقية والوطنية، كما يُمكن أن تُعالج الأناشيد نواحٍ اجتماعية أو علمية كأن تشمل معلومات مبسطة عن الحيوان والنبات وظواهر الطبيعة وغيرها. وهذه الأناشيد تُناسب الأطفال في طفولتهم المبكّرة على وجه الخصوص، وتُعتبر من النشاط اليومي في دور الحضانة ورياض الأطفال. وفي المدرسة الابتدائية يُمكن تكوين فرق الغناء الجماعي للأطفال "الكورال"، وفي هذا تحقيق لفوائد تربوية واجتماعية وأخلاقية إلى جانب فوائدها الفنية ومتعة (ابراهيم،، ٢٠١٨، صفحة ٢٧١). وهذا يُحتّم على أن يُقدّم للأطفال المبتدئين في مراحل رياض الأطفال أو المدارس الابتدائية شعرًا يعتمد أسلوب الأغنية الخفيفة في البداية، ويتدرّج إلى الأنشودة البسيطة، ومن المهم أن تكون اللغة البسيطة المتدرّجة بين العامية والفصيحة، دون الإسراف في العامية المطلقة أو الإيغال في الفصيحة العميقة. (أبو معال، ٢٠٠٥ م، صفحة ٢١٦)

الغناء هو من أهم الأنشطة التي تقوم عليها رياض الأطفال والمدارس الابتدائية. إنّه نشاط ينغمس فيه الطفل بكل حواسه بشكل عفوي وتلقائي، وينطلق بحرية للتعبير عن مشاعره؛ ما يؤدي إلى إحساسه براحة داخلية عميقة. إضافة إلى ذلك تلعب الأغنية دورًا مهمًا في استثارة فضول الطفل ورغبته في دراسة موضوع ما، فقد أثبتت الدراسات والأبحاث أن الغناء كوسيلة يعزز تعلّم الأطفال في مرحلة الروضة، حيث إنّ الأغنية تنبع من صلب المحاور التعليمية، وتساعد على تركيز المفاهيم في ذهن الطفل من خلال التكرار، مثلاً :اسمي أنا المثلث\ وهذا أخي المربع \ ولي أخ طويل ندعوه مستطيل \ وأختنا دائرة جميلة وماهرة \ هذه أشكالنا \ احفظوا أسماءنا \ المثلث، المربع، المستطيل، الدائرة (خوري، ٢٠١١). وفي مرحلة الروضة، يُلاحظ أنّ ما يجذب الأطفال إلى هذا العالم الجديد، هو الأغنية الطفولية مثل "صفر القطار \ خرج البخار"، أو "عمي منصور النجار \ يعمل في يده المنشار"، أو "عاد أبي للدار \ بعد عمل النهار"، هذه الأغاني وغيرها الكثير في هذه المرحلة بالذات، هو التعبير عن العالم الخارجي للبيت، حيث يتعرّف على وسائل النقل والمهن وعمل الأب وغير ذلك ممّا يوجد خارج جدران المنزل حيث قضى طفولته الأولى (الموسى، ٢٠١٠ م، صفحة ٤٧٠)

وكلّما تقدّم الطفل في العمر كلّما كان المجال مفتوحًا لحبّ الموسيقى والاستماع إليها وإلى الأناشيد المنغّمة ذات الإيقاعات البسيطة والتي يُمكن أن يُردّدها الطفل مع إخوته أو أقرانه أو والديه، وهذه الأناشيد تتضمّن في العادة بعض القيم والمفاهيم التي يسعى المجتمع إلى غرسها في ذهن الطفل، كأن تتضمّن حثًّا على النظافة أو النظام أو تُنمّي لديه حبّ العمل مع الجماعة، أو تُعبّر عن مشاعره تجاه والديه، أو أفراد أسرته، أو تُمثّل انتماءه لوطنه واعتزازه به إلى غير ذلك من قضايا تُساهم الموسيقى والكلمة البسيطة في تكوينها وتنميتها في نفس الطفل، أو أن تُعبّر عن بعض ما في بيئة الطفل من كائنات وحيوانات يألفها الطفل ويُحبّها فيُغنّي أغنية عن كلبه الوفي أو يُردّد مقطوعة لقطته، وهو في كلّ ذلك يجد سعادةً ومتعة (ابراهيم،، ٢٠١٨، الصفحات ٢٧١–٢٧٤). في الواقع، يستثمر الأطفال قسمًا مهمًّا من أحاسيسهم في كلّ ما يمس الموسيقى، الرسم، والحركة، إذًا، في كلّ وسائل التعبير. هذا وتدخل عواطفهم بقوّة في أيّ نشاطٍ حركيّ، ويساعدهم الوزن وتُساعدهم الموسيقى على التحكم بأحاسيسهم ومعالجة قلقهم. بالنسبة لأطفال ما قبل السبع سنوات، فإنّ أغاني الطفولة تُساعدهم على التعبير عن عواطفهم وعلى تفريغ شحنة الأحاسيس التي يعيشونها (J.M.Gautier، ٢٠٠٨).

والأغاني لا تقتصر على الصف بل ترافق الأطفال في الملعب وتُشارك في ألعابهم. وكلّنا يذكر أغاني الملعب التي كنّا نُردّدها في ألعابنا الجماعية: حلقة الأولاد والمنديل الذي يدور ليُرمى خلف أحدهم ليقع عليه الدور على أنغام "طاق طاق طاقية\

طاقيتين بعلّية \ رن رن يا جرس \ حوّل واركب عالفرس"، و"صبحكن بالخير يا عمّار العمّارين \ بالله اعطونا بنتكن يا عمّار العمّارين" والتي كان الأولاد يُغنونها وهم يقفون في صفّين متقابلين، أو (le renard passe passe / à chacun à son tour)، (rosie rosa je t'aimeje t'aime oh rosie!) وغيرها باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنكليزية، بكلامٍ يحمل معنىً أو لا.

وكذلك تُرافق الأغاني الأطفال في الباص، ذهابًا وإيابًا، إلى المدرسة، أو في الرحلات. ومنها ما نذكره "يا شوفير دعاس بنزين عالميّة وتسعة وتسعين \\ لا تخاف من البوليس \\ نحنا ولاد المدارس".

ب–أسس اختيارها

إنّ اختيار أغاني الأطفال مهم جدًا في المدرسة. وله أسس من الضروري اعتمادها لتنجح هذه الأغاني في تحقيق الوظائف التي وُضعت من أجلها، ومن هذه الأسس أن يكون اللحن بسيطًا محبّبًا عند الطفل، لأنّ اللحن هو ما يشدّ الطفل إلى الأغنية قبل أن يبدأ بالغناء. ومن الأسس الجيّدة للاختيار أن تتوافر فيها العناصر التالية: خلوّها من الكلمات الغريبة أو الصعبة، أن يكون موضوعها شائقًا محببًا للطلبة ومثيرًا لعواطفهم، أن يكون الخيال في الأناشيد قريبًا من مدارك الطلبة، أن يكون النشيد ملائمًا لميول الطلبة ورغباتهم، الكلمات التي تتضمّنها الأغاني والأناشيد يُفضّل أن يتّسع لها القاموس اللغوي للطفل، ويُفضّل كذلك أن تبعث الأغاني والأناشيد في نفس الطفل البهجة والسرور وذلك لأن عواطف وانفعالات الطفل لا تتسع للانفعالات الحادة كالحزن والقلق واليأس وما إلى ذلك، ويُفضّل كذلك ألّا تتناول الأغنية والنشيد المقدّم للطفل أكثر من فكرة واحدة أو تدور حول أكثر من موضوع، والأغنية والنشيد حينما تصاغ في قالب قصصي أو درامي مشوق تلقى المزيد من الإقبال من جانب الأطفال، بالإضافة إلى أنّ الأغاني التي ترتبط بمواقف حياتية أو بالمناسبات أو باللعب أو بالفصول، هي محبّبة إلى قلب الطفل فيُردّدها تلقائيًا، ولوحده ولنفسه وذلك في الموقف المناسب (قاسم، ٢٠١٣).

ج–الغناء الجماعي وفوائده

أن نغنّي في المدرسة يعني أن نُغنّي معًا، بشكل غير منظّم في الصف والملعب أو بشكلٍ منظّم في الكورال والحفلات المدرسية. أن ينظر الطفل حوله فيجد رفاقه يُشاركونه الغناء، يُشاركونه التجربة ذاتها، الكلام ذاته، اللحن ذاته، الحركة ذاتها، يشاركونه التصفيق والمتعة، الضحك والفرح، ذلك بداية الاندماج الاجتماعي. وكأنّ لسان حال الطفل يقول لست وحدي، كثيرون يُشاركوني المكان، يُشاركوني النشاطات، يُشاركوني الحياة.

وللغناء الجماعي دلالاته، فالغناء الجماعي يعني الذاكرة الجماعية، والذاكرة الجماعية هي التي تحفظ تراث الشعوب من الاندثار. وأن نُغنّي معًا، يعني أن نُغنّي بصوتٍ واحد، يعني هي لحظة نعيشها معًا، سوف تُسجّل في الذاكرة الجماعية للجماعة. فكيف إذا كانت الجماعة جماعة الأطفال في رياض الأطفال أو في المرحلة الابتدائية، أي في مرحلة الطفولة المبكّرة أو الوسطى أو حتى المتأخرة؟! يجد الطفل متعة جديدة، أن نُغنّي معًا، جميعًا، وفي الوقت عينه! كلّ تنشئته الاجتماعية على المحك، وبشكل خاص اندماجه الاجتماعي في المجموعة، وفي هذا السياق يلعب الغناء الجماعي دورًا مهمًّا. يُوفّر الغناء الجماعي كذلك الأمان العاطفي للطفل، والأمان العاطفي شيء مهم جدًّا في تفاعلاته الاجتماعية، وأغاني الأطفال تسمح بإطالة هذا الأمان: مع التكرار للأغنية، يرتاح الأطفال أكثر، كذلك يُصبح المناخ أكثر ملاءمةً لمختلف مظاهر التنشئة الاجتماعية (J.M.Gautier، ٢٠٠٨).

والملاحظ أنّ الأغنية، رغم أهميّتها في التنشئة الاجتماعية والتعليم إلّا أنّها لم تأخذ بعد الحيّز المطلوب لها إن في رياض الأطفال أو في المدرسة الابتدائية، فالأغنية في المدارس لا تستخدم لمقاربة مفهوم الترفيه أو التنشئة الاجتماعية، هي فقط

للاستعراض أمام الأهالي في المناسبات، حيث يتمرّن الأولاد على أغاني الأم في عيدها وأغاني الوطن في عيد الاستقلال وأغاني منوّعة في ختام العام الدراسي.

القسم الثاني: أغاني الأطفال في لبنان مسارها ومضمونها

أغاني الأطفال في لبنان محدودة بأسماءٍ قليلة أنتجت ألبومًا كاملًا للطفل أو إثنين، علمًا بأن عدد من الفنانين قدّم أغنية واحدة لمناسبة ولادة طفلٍ له. ومن الأسماء التي لمعت في الغناء للطفل شوشو، الياس الرحباني، ماجدة الرومي، ريمي بندلي، ونانسي عجرم.

أوّلا: من شوشو إلى نانسي عجرم

بدأت علاقة شوشو مع الأطفال في الستينات في برنامج تلفزيوني مخصّص للأطفال كتبه محمد شامل وأعطى دور البطولة فيه لحسن علاء الدين بعدما أطلق عليه لقب شوشو. في هذا البرنامج غنّى أولى أغنياته: "حبّ اللولو سنيناتي / بنضفهن بديّاتي / لونن أبيض متل التلج / شوفوهن يا رفقاتي.

نجح شوشو بالتلفزيون، واستطاع أن يكون صديقًا لكلّ الأطفال فقدّم لهم عددًا كبيرًا من الأغاني. و"شوشو" يحمل كاريزما خاصة حتى في الغناء، وأشهر أغانيه "ألف با بوباية" و"حب اللولو سنيناتي". أما أهم ميزة يتحلّى بها فهي صداقته للأطفال وللعائلة ككل.

قدّم شوشو بعد ذلك مسرحيتين للأطفال، نالتا نجاحًا كبيرًا، وسجّل أسطوانتين الأولى بعنوان «ألف باء» والثانيه بعنوان «انكغا أبّا أبّا»، ما زالتا تباعان حتى اليوم، وتعتبران إرثًا مهمًّا للأطفال من الستينات وحتى اليوم في البيت والمدرسة. أحبّه الأطفال، قلّدوه، وغنّوا معه، وغنوا جميع أغانيه.

في حديث إذاعي يقول شوشو: «مسرح الطفل هوّي المسرح الأصعب، وعند ما بكون بصدد تقديم مسرحيه للأطفال برجف وبخاف، وبيصيبني الرعب، بيكون وزني قبل المسرحيه ٤٩ كيلو، وبعدا بيصير ٤٤». (ضاهر)

يتذكر فارس يواكيم مسرح الأطفال مع شوشو أو "عمو شوشو". يقول " شوشو أسّس أيضًا مسرحًا للأطفال، وقام ببطولة هذه المسرحيات، وكان أوّل مسرح للأطفال في لبنان. وهذه أيضًا تجربة رائدة للأسف يتجاهلها أو يجهلها بعض مؤرخي المسرح، وبالمناسبة، فقد كان يقدّم العروض للأطفال بالمتعة ذاتها التي قدّم بها مسرحيات الكبار". (طعمة، ٢٠١٥) (باشا، ٢٠١٦)

غنى شوشو أكثر من عشرين أغنية للأطفال، تناول فيها موضوعات كثيرة ومتنوّعة، شاركه الأطفال غناءها.

وفي سنة ١٩٧٦ قدّم إلياس الرحباني ألبوم أغاني الأطفال "ألحان وحكايات وأغاني للأطفال"، من كلماته وألحانه، تضمّن حوالي أكثر من ١٠ أغنيات، وكانت من غناء غسان وجاد الرحباني، وكانا حينها صغيرين، كذلك كان بعضها من غناء عايدة وأمال طنب. اشتهرت أغاني هذا الألبوم كثيرًا وما زالت تُعتبر من تراث أغاني الأطفال في لبنان. نذكر منها "كلّن عندن سيارات"، "عيدك يا ماما"، "عمي بو مسعود"، "شتي شتي شتي"، "خلصت السنة يا مدرستي"، "طلع الضوع الواوي" وغيرها.

وقدّمت ماجدة الرومي سنة ١٩٨٣ ألبوم أغاني للأطفال يتضمّن حوالي ١٠ أغنيات لاقت رواجًا كبيرًا وما زالت ومن أشهرها "طيري طيري يا عصفورة"، عندي بيسي"، "عندي سمكة ذهبية" وغيرها.

وفي أوائل الثمانينات غنّت أيضًا ريمي بندلي الطفلة ابنة الأربع سنوات للأطفال والطفولة، بدأت بأغنية " إيماني أحلى إيمان"، وتبعتها ب"غسّل وجك ياقمر"، "طير وعلّي يا حمام"، "نحنا الربيع"، "اعطونا الطفولة"، وغنّت للأم والأب والوطن. وفي سن السادسة قامت ببطولة فيلم "أماني تحت قوس قزح" حيث غنّت مجموعة من أغاني الأطفال. تتميّز أغاني ريمي بندلي أكثر من غيرها بتركيزها على أغاني الحرب والوطن، حيث قدّمت منها تسع أغاني من إحدى عشرة أغنية في ألبومها الأوّل، وذلك بقالب

طفولي ومصطلحات وصور تتناسب مع هذا العمر، يخرج عن هذا الإطار عبارة "بفجّر حالي" في أغنية "يا إمي يا جناح الدفا". وفي هذا السياق تبدو أغاني ريمي عن الحرب والوطن ما زالت قائمة اليوم كما بالأمس، وتتناسب مع كلّ طفل في الوطن العربي. (عيّاد، ٢٠١٦) (عساف، ٢٠١٣) (أبو سعيد، ١٩٨٢)

أمّا نانسي عجرم فقدّمت ألبومين للأطفال باللهجة المصرية واللبنانية، هما الأحدث، لذلك نجد مثلًا أغنية "كارت شحن" من واقع التكنولوجية والهواتف النقالة، ومن أشهرها "شخبط شخابيط".

ثانيًا: أغاني الأطفال في لبنان: عرض وتحليل مضمون

يتناول تحليل المضمون ٧ أغنيات في فئة الترفيه، الحيوان ٦، الأهل والأبناء ٥، النبات والأشياء ٥، المدرسة ٦، الوطن والحرب ٥.

١-أغاني الترفيه

كلّ أغاني الأطفال هي بالدرجة الأولى أغاني ترفيه بالكلمة واللحن والصور الشعرية، لكنّ بعضها يحمل أيضًا أهدافًا تربوية تعليمية، لذلك اخترنا في هذه الفئة الأغاني الأكثر تعبيرًا عن الفرح.

من أغاني الفرح والمرح أغنيتان اشتهرتا كثيرًا وما زالتا، أغنية *"عمي بو مسعود"* لغسان وجاد الرحباني، وأغنية *"تعوا يا صبيان، تعوا يا بنات"* لشوشو. ترتكز هاتين الأغنيتين على المبالغة في تقديم كمية الأكل والمبالغة في وصف مَن يأكل كثيرًا ووصف من لا يأكل. والمبالغة هي عنصر تشويق في أدب الأطفال، وتظهر في كميات الأكل التي يذكرها العم بو مسعود لوجبة الترويقة والغداء والعشاء، فالكميات التي يذكرها تجعل الدهشة تعلو وجوه الأطفال، فيضحكون ملء أنفاسهم لأنّهم يتخيّلون العم بو مسعود وهو يضع الأصناف أمامه ويبدأ بالأكل، وكيف يشرب نهر المَي، ويضحكون أكثر لأنّه يبقى جوعان. وفي "تعوا يا صبيان" ما يُضحكهم هي التشابيه المبالغ فيها التي يستعملها شوشو، والمقارنة التي يُقيمها بينه وبين أفراد عائلته، فابنته "بتوزن ٥ طن"، أمّا هو فيُشبه قشة "الشليمون"، وزوجته "عشاها خروف"، وكنزة ابنه فيها "١٢ كيلو صوف" وهو في المقابل يُشبه "الصوص البلدي المنتوف"، ويُنهي بأنّهم يزدادون نصاحةً وهو يزداد ضعفًا، فوزنه مع ثيابه "٥ كيلو بس".

لا تخلو هاتين الأغنيتين من العنصر التعليمي، الذي يبدأ بمعرفة أصناف كلٍّ من الوجبات، إلى جانب معرفة وحدة الوزن "الطن" للأوزان الكبيرة" والكيلو للأوزان الصغيرة، كذلك معرفة الأضداد "نصحوا ≠ خس"، حقل المعاني للكلمات المتشابهة في اللفظ، "خس(بالعامية) = ضعف أي نقص وزنه، خس = خضار"، والكنزة تصنع من الصوف.

أمّا أغنية *"يا ولاد الحارة ا يويو"* لشوشو، فهي تُصنّف ضمن أغاني الفرح والمرح والتسلية، فهي دعوة مفتوحة للتجمّع وإقامة الحلقات والرقص والفرح مع شوشو. وإذا تتبعنا كلمات الأغنية من مقطع إلى آخر نجد أنّها كلمات بسيطة لا تحمل معاني عميقة أو أهداف مباشرة أو غير مباشرة تبدأ بالدعوة للرقص وتنتهي ب "تكبر الضحكة" وهذا هو الهدف، أن يفرح الأولاد وتصبح ضحكتهم كبيرة وكأنّها تُغني؛ والفرح هو من أهداف التنشئة الاجتماعية، لأنّ الطفل الفرح يُقدم على الحياة والعلم والمجتمع بعقلٍ منفتح وبكلّ كيانه. وهذه الأغنية هي نسخة مُجدّدة، بمقاطع جديدة، للأغنية الشعبية التراثية التي كانت ترافق الأولاد في الساحات وفي حرش العيد، حيث كانت تُنصب المراجيح الخشبية التي تتسع لعددٍ كبير من الأولاد، يركبونها لقاء مبلغٍ زهيدٍ من المال، يدفعهم صاحب المرجوحة وهو يُغني ويردّون عليه بأعلى الصوت "يا أولاد أبو شرشوبة ايويو !! عايشة المخطوبة ! يويو !! يا مين خطبها ! يويو !! وشنشل دهبها ! يويو !! دهبها غالي ! يويو !! حقوا مصاري ! يويو !! مصاري مين ! يويو !! أبو أمين"، وهكذا تعلو المرجوحة وتنخفض والأولاد يُردّدون ولا يتعبون.

"بقوسي" أغنية تزرع الفرحة والضحكة عند الأطفال بدءًا من العنوان "بقّوسي". و"بقوسي" هي أوّل لعبة يلعبها الطفل ولم يُكمل بعد سنته الأولى، هذه العبارة التي تحمل معها صورة وحركة يعرفها الصغار منذ الأشهر الأولى، فيضحكون معها تلك الضحكة التي تكرّ مثل عقدٍ انفرطت حباته فتدحرجت الواحدة تلو الأخرى. هي دعوة للعب والضحك "حتى نلعب بقّوسي"، "واضحك الضحكة الطيوبي". وهي تتضمّن ما يعيشه الطفل فعلا في سني المهد والطفولة المبكرة من صورٍ تتناسب ولعبة "البقّوسي": "خبيلي بشعري عينيك"، "خبّي وجّك بالدبدوب" وغيرها. يكفي أن تُردّد الأم هذه الأغنية وترافقها بالحركات المناسبة حتى تُدخل البهجة إلى قلب طفلها.

"كلّن عندن سيارات وجدي عندو حمار" أغنية فرح وتسلية يغنّيها الكبار والصغار، فالصور التي تتضمّنها تُحرّك خيال الطفل فيرى نفسه راكبًا الحمار وراء جدّه حتى لو لم يكن عند جدّه حمارًا، "والبوليس يأشرلو" ويسمعه "يصوفرلو" كما يسمع ال "باب باب باب" من أبواق السيارات فيُردّدها بأعلى من الأبواق. وتتتابع الصور الشعرية في رسم صورة الحمار مع "الخرزة الزرقا" والشتي وكيف "بيتخبى تحت بلكون الحي"، والصورة الأجمل لخيال الطفل هي الراديو والشوفاج، فالحمار لا يختلف عن السيارات في تجهيزاته، ويتعلّم الطفل أنّ طريق "الطلعة" فيه مشقة ويحتاج إلى جهد، فالحمار "بيصير يمشي شوي شوي"،أمّا طريق "النزلة" فهو سهل. وهذا ما سيكتشفه الطفل رويدًا رويدًا في حياته. لا تخلو هذه الأغنية من العنصر التعليمي: دور البوليس، دور الخرزة الزرقا، والشوفاج للدفا، كذلك يُضاف مصطلح جديد إلى قاموسه اللغوي "الجرد"، ويتعلّم المقارنة ما بين التقليد والتجديد.

من الأغاني التي أدخلت السعادة إلى قلب الأطفال *"غسّل وجّك ياقمر"* لريمي بندلي، فهي بصورها الشعرية والمسرحية تحمل البهجة والضحكة إلى الطفل. فالقمر يغسل وجهه "بالصابونة والحجر"، ويُمشط شعره، يحمل خيال الطفل هذه الصور وهو يعرف أنّها غير صحيحة لذلك هي تُضحكه، ويُضحكه أكثر أن يطلب منه "ينزل عالدبكة". ويُقلّد الطفل بفرح صوت القمر " عم غسّل وجي" واستغرابه "انزل عالدبكة!"

"نحنا الربيع" لريمي بندلي، تضج بالفرح والحياة والتفاؤل والخيال المليء بالألوان في كلماتها ولحنها وفي لازمة "لا لا لا لا لا لا" التي يُردّدها الطفل أكثر من مرّة، كذلك في مصطلحاتها وعباراتها مثل ألوان، ألحان، وغيرها، وبشكل خاص في استخدام ضمير المتكلم "نحنا" فيُردّد الطفل مع أقرانه "ورد الربيع نحنا"، "نحنا فراشات زغار"، فيُعطيه الغناء الجماعي الإحساس بهذه "النحنا" وبهذه الصور التي تجعله مركز ومصدر الفرح. "نحنا" تجعل كل طفل يغني الأغنية يشعر أنّه "ورد الربيع" و"الفراشات" ويركض "فوق الأزهار" ويتمرجح مع الهواء.

٢-أغاني الحيوان

إنّ أكثر ما يتردّد بين أغاني الأطفال هو أغاني يكون محورها الحيوان، وترتكز بمعظمها على الفكرة القصصية التي تجذب الطفل. ومن هذه الأغاني اخترنا العيّنة التالية:

"هالصيصان شو حلوين" يعرفها الكبار والصغار، وهي من أولى الأغنيات التي نغنّيها للطفل، كما أنّها من الأغاني التي تُقدّم القصة والتربية والقيم والأمومة والإيمان في قالبٍ من الفرح بحركاتها البسيطة وبطقطقة اللسان المرافقة. والأم هي محور الأغنية: مصدر الفرح "عم بيدوروا حول إمّهن مبسوطين"، مصدر الأمان "ما بيخافوا لا لا / شو ما شافوا لا لا / إمهن حدّن هنّي حدّها فرحانين"، وهي التي تأخذهم للنزهات، وهي التي تشتري لهم الثياب الجديدة للعيد، وهي التي تُدرّبهم على الإيمان "شكروا ربّهن". هذه الأغنية تشرح للطفل دور الأم وأهميّته في حياة أطفالها، فتترسّخ قيمة " الأم عندهم.

ما يُميّز أغنية *"البوبي هبهب هَو هَوا البس بس جاوب نَو نَو"* لشوشو، هو المشهد المسرحي الذي يتضمّن شخصيات "البوبي" و"البسبس"، ويتضمّن وضع أساسي وعقدة وتسلسل أحداث وحل ووضع نهائي. وهذه البنية القصصية المسرحية تجذب الطفل وتُحرّك الخيال، فيعيش الطفل الواقعة من بدايتها حيث البسبس يلعب مع الفراشة ويُلاحقها إلى أن يتأزّم الوضع مع رؤية البوبي له وكأنّه لا يُعير لوجوده أي اهتمام، ومن المعروف العداء الدائم ما بينهما، وتبدأ المعركة والتحدّي الذي يُتابعه الطفل بأذنيه ويرسم له صورة بخياله، ومن ثمّ يتصالحون، وما بين الغمرة والبوسة مشي الحال وراق الجَو. في هذه الأغنية مشهد طبيعي، يتكرّر دائمًا وشاهده معظم الأطفال الذين ينقسمون بين حب الكلاب أو الهررة. والأغنية تُقدّم مثالًا لما يحصل بين الأخوة والأخوات في البيت، أو بين الرفاق والرفيقات في المدرسة، والأصحاب في الملعب والشارع والنادي، وكأنّ الأغنية تُقدّم رسالة تربوية إلى الأطفال عبر أبطال هذا المشهد، بأنّ تعاركهم هو كتعارك البوبي والبسبس، ينتهي في زمانه ومكانه ونعود أصحاب وأحباب. مع أنّ الوجه التربوي هو الغالب في هذه الأغنية إلّا أنّها تتضمّن عبارات مستخدمة في المجتمع المحلّي، يبدأ الطفل بفهم معناها وحيثيات استعمالها مثل "تكهرب الجَوّ"، "حس ع دمّك بقى حس"، "لو بتشوفو الفرجة"، "رميوا الزعل خلف الباب" و" مشي الحال وراق الجو" فهي إذًا تُغني قاموسه اللغوي العامي اليومي، كما أنّها تُقدّم معلومتين للطفل حول "غياب الشمس وطلوع الضو"، وكون الفراشات ملوّنة بأكثر من لون".

ومن أغاني الحيوان *"طلع الضوع الواوي"* لإلياس الرحباني، فالواوي حيوان غير معروف بالنسبة لجميع الأطفال، يعرفه أطفال الجبال، ويُشير اسمه إلى الخوف ولكنّ الأغنية قدّمته بطريقة طريفة نزعت فكرة الخوف منه عند الأطفال، فهم يُلاحقونه وهو "يعوي عو عو" ويخاف ويهرب، ولكنه عندما يبتعد يمشي ويتمختر "عامل حالو إنو مش فزعان". في هذه الأغنية، تُدخل الصور الشعرية الفرح والتسلية إلى الأطفال" كما أنّها تُقدّم لهم بعض المعلومات: الواوي لا يخرج إلا في الليل ويخاف من الضو، صوت الواوي هو العواء، كما أضافت إلى قاموسهم اللغوي ثلاثة مصطلحات جديدة "يمشي"، يتغندر"، "يتمختر".

تتناول نانسي عجرم موضوع السجن والحرية في أغنيتها *"عصفور النونو"*. وهي تحاكي الأطفال في حبّهم للطيور وحب اقتناء عصفور في قفص. فهي مثلهم أحبّت لونه وصوته ولكنّه توقف عن الغناء "يمكن زعلان مني"، وهو "يكشّر ويداري عيونو" عندما يراها بعدما كان "يغني زي الملاك" على شباك بيتها، ولم تنفع كل محاولاتها فهو "يبوّز". تدرك أنّها حرمته من "طيرانو" وكانت سبب "أحزانو". ما يُميّز هذه الأغنية أنّ نانسي تتحدّث عن نفسها ولا توجّه رسالة مباشرة إلى الطفل. ومن حرّية العصفور وأهميّتها له يُدرك الطفل الحرّية كقيمة أساسية في الحياة.

عالجت ماجدة الرومي الموضوع ذاته في أغنية *"طيري طيري يا عصفورة"* وهي من الأغاني التي اشتهرت كثيرًا. يحبّ الأطفال هذه الأغنية لأنّ غناءهم يترافق مع حركات الطيران فيفرحون ويمرحون مع ترداد اللازمة "طيري طيري" التي تُقدّم صورة جميلة للطفولة في البراري حيث الزهر والنهر والفراشات "البشورة". كلّ الأطفال في الطفولة المبكّرة يسألون "وين بيتها العصفورة" وهذا ما تناوله المقطع الأوّل ليؤكّد على تساؤل الأطفال ويطلب منها أن تكلمهم على أن يكون ذلك سرًّا بينهم. "خبرتنا العصفورة" عبارة يُردّدها الأهل على مسامع الأطفال للدلالة على أنّهم يعرفون كلّ شيء فلا يستطيع الطفل إخفاء أي أمر عنهم، ويحتار الطفل في ذلك، وعندما يكبر قليلًا يقول "أصلًا العصفورة ما بتحكي"، على هذه الفكرة قام المقطع الثاني ويستغرب الأطفال صحبتها مع كل الأهل، ومعرفتها بكلّ ما يفعلونه "وما شفناك وشفتينا كيف عرفت يا عصفورة". والعصفورة رمز الحرية "إنت الحرية العم تكبر" وبلادها "السما الزرقا". تقدّم هذه الأغنية مصطلحات جديدة لقاموس الطفل" "الزهر"، "النهر"، "جناحين" "جوانح"، "أصحاب"، "الحرية"، "بلاد" وغيرها، كما أنّها تُغنيه بمعلوماتٍ جديدة: العصفورة تمتلك جناحين، الحرية تكبر، السماء

زرقاء، السماء بعيدة وكبيرة. بالإضافة إلى الترفيه فإنّ هذه الأغنية تُحاكي أفكار الطفولة وتقدّم لهم فكرة جديدة كبيرة عميقة بطريقة مبسطة هي فكرة الحرية وارتباطها بالبلاد وحاجتها للمدى الواسع.

أمّا أغنية *"عندي بيسي"* لماجدة الرومي فتتميّز بتقديم ثلاثة مشاهد مسرحية تُحفّز خيال الطفل، بطلتها البيسي وصاحبتها وهي مشاهد واقعية رآها أكثر من طفل في محيطه. المشهد الأوّل عاشه كلّ طفل يُربّي هرًّا في البيت أو عند بيت الجد أو الأقارب، اللعب مع الهر وانتظار الهر لصاحبه عند عودته من المدرسة. أمّا المشهد الثاني فيُمثّل العلاقة ما بين الهر والفأر حيث الهر هو الأقوى، هذا المشهد لم يره الطفل في الحقيقة ولكنّه رآه في الصور المتحركة وبشكل خاص "توم أند جيري"، والمشهد الثالث يقدّم العلاقة ما بين الكلب والهر حيث الهر هو الأضعف ويحتاج لمن يحميه، مشهد رآه أكثر من طفل في محيطه. في المشهدين استعمال لعبارتي "برافو عليك يا سيسي"، و"يا عيب الشوم يا سيسي"، قد لا يُشكّل طرحهما أي تأثير على الطفل ولكن قد يكون لهما تأثير سلبي على بعض الأطفال إذ يُصبح ضرب الآخر عملًا يُهنَّأ عليه، ويُصبح الخوف من الآخر وطلب الحماية مذلة وعيب في نظر البعض. مصطلحان جديدان مرتبطان بالريف والقرية، "الحقل" و"النبعة"، يُضافان إلى قاموس الطفل، وبشكلٍ خاص أطفال المدينة.

٣-أغاني الأبناء والأهل

الأهل، وتحديدًا الأم والأب، والأبناء هم عناصر مهمة في أغاني الأطفال، ومنها هذه العيّنة من أربع أغاني.

من الأغاني التي تتناول الأسماء والتي أخذت شهرة كبيرة وما زالت أغنية *"نانا الحلوة نانا"* لشوشو. وما يُميّز هذه الأغنية أنّها تتناول اسم دلع "نانا" يصلح لكثير من أسماء البنات وبالتالي تغنّى بها كل أفراد العائلة وما زالوا لما فيها من معاني الحب والدلع، وبدّلوا "نانا" بأي اسم دلع يوازيها في النغم. تتناول هذه الأغنية في معانيها التراث الذي يترافق مع مناسبة ظهور السن الأولى للطفل، حيث تعمد الأسرة إلى تحضير "السنينية" وتقديمها كضيافة وتوزيعها على الأهل والجيران بهذه المناسبة الحلوة، كما تناولت ثلاثة أنواع أخرى من الضيافات التراثية وهي المغلي والمهلبية والسنيورة. وتقدّم إلى الطفل إضافةً إلى التراث، دلالات على الحب الذي يعطيه كل أفراد العائلة "لنانا" ولكلّ طفل ومنها أنّها حبيبة أمّها وأبيها وأخيها، وكذلك الرقص من أجلها في هذه المناسبة، والاهتمام بثيابها وخياطتها من ريشات العصفورة، وهذا يُقوّي أواصر العلاقة بين الطفل وأهله لأنّه من خلال نموذج "نانا" يعرف قيمته وأهميته عند أهله. بالإضافة إلى أنّها تتضمّن دعوة صريحة لتشجيع التعليم والذهاب إلى المدرسة والشطارة.

أمّا أغنية نانسي عجرم *"يا بنات"* فهي لا تتناول بنت محدّدة بل تتناول كل البنات وتتناول موضوع ولادة بنات في العائلة. وأصبحت هذه الأغنية أغنية كلّ عائلة، كلّ أب وكلّ أم "خلفتها بنات". حتى الأطفال أحبوا الأغنية وردّدوها لسلاسة النغم والكلمة. نانسي تتغنى بفرحتها وسعادتها، فهي أم البنات، وكلّ الأفكار المسبقة عن ولادة البنات لم تشعر بها. وهي تدعو الأولاد للرقص لأنّ "ضحكتها بتفكّر بالأعياد"، كذلك عصافير الجنة تغني وترقص وتزغرد "للبنوتة"، كذلك فإنّ "الفرحة" تنتظرها الفتاة من هي "يا دوب باللفة"، وهذه العبارة تُكرّس ثقافة المجتمع في تحضير الفتاة منذ الطفولة لتصبح "عروسًا".

تتوزّع أغاني الأهل على أغاني الأم بنسبة كبيرة وأغاني الأب بنسبة أقل. ومنها أغنية *"ماما"* لريمي بندلي. تتوجّه هذه الأغنية لمخاطبة الأم مباشرة بعبارات كلّها عاطفة وحنان تُبيّن للطفل أهميّة الأم ومحبّتها والفرحة التي تزرعها كلمة "إمي": "ماما أوّل كلمة بالتم"، "الدنيي إم"، "إنت العيد"، "إنت قلبي"، "انت المحبة" "اسمك نبع الحنية"، "ولا أحلى من كلمة إمي".

ومن أغاني الأم المشهورة *"كرمالك يا ماما"* لماجدة الرومي، حيث يترافق عيد الأم مع "مرج الورد تلوّن وبعيدك زهّر"، ومع "الدنيي بتحلى إيامها، "والخير بوابو تكتر"، وتتوالى الصور المرتبطة بوجود الأم " فهي "الطيب" وهي "الشمس اللي ما بتغيب"

و "بلادي ع إيدك تعمر". والدعاء للأم يتواصل في هذه الأغنية، " طوّل عمرها يا ربّي حتى تزيد المحبّة" إذ أنّ وجود المحبة في المجتمع مرتبط بوجود الأم، والأبناء لا يكبرون إلا بعطف الأم التي تسهر وتُربّي. هذه العبارات الواردة في الأغنيتين، يُردّدها الطفل فيشعر بحنان الأم وعطفها، وتُغذّي العاطفة والحب في قلبه، إذ يكفي أن يُردّد الطفل كلمة ماما بأكثر من طريقة "ماما"، "إمي"، "إم" حتى تعطيه الأمان والاطمئنان. كلّ هذه المعاني تُساهم في نموّه العاطفي المتوازن. كذلك فإنّ أغاني الأم تُغني قاموس المعاني الحسّية والمجرّدة لدى الطفل.

٤-أغاني النبات والأشياء والأدوات

عناصر الطبيعة، والمكان هي من المواضيع التي يرتكز عليها الشعراء لتقديم أغنية ناجحة للطفل ومنها:

"الأمانة" هي القيمة التي تعمل على ترسيخها عند الأطفال أغنية *"خاتم ألماس"* لشوشو. تُبيّن الأغنية الأوضاع التي تعيشها عائلة فقيرة، فالعائلة "جوعانة"، والبيت يتألّف من "أوضة" صغيرة فقط، أرضها من تراب، تُغطيها "شقفة حصيرة". وهذه العائلة لديها خاتم ألماس أمانة، ولكنّها رغم ذلك لن تبيعه، وتُطمئن الخاتم بأنّه سيعود لأصحابه مهما "طوّلت غيابك". هذه الأغنية تقول للطفل بأنّ "الأمانة" قيمة يجب المحافظة عليها، ولا يجب التفريط بها مهما طال الزمن ومهما كانت الأوضاع صعبة.

يُتابع شوشو موضوع الأمانة في أغنية *"صار عندي بيت وبستان"*، وفي هذه الأغنية يردّ شوشو على أغنية "خاتم ألماس"، فنحن "حافظنا عالأمانة"، والله كافأنا لأنّه كريم "ما بيترك حدا جوعان"، لذلك أكرمنا "ببيت وبستان وخوخ وتفاح ورمان"، وهذا ما كنّا نتمناه. وهكذا يتعلّم الطفل المحافظة على الأمانة وعدم التفريط فيها، ويتعلّم الإيمان بالله وبأنّه سند كلّ ضعيف.

قدّم إلياس الرحباني أغنية *"شتي شتي"*، غنّتها أمال طنب. يغنيها الكبار والصغار في كلّ مرة ينزل فيها المطر. تُبيّن الأغنية للأطفال أهميّة المطر "الشتي" في المدينة فهو يغسل الطرقات والمدينة والبنايات وكذلك الشجر على الطرقات، وتبيّن لهم أين يختبئ الناس "الصبايا" " اللي ما معهن شماسي"، وكأنّها تعلّمهم أن يتصرّفوا بالطريقة ذاتها إذا داهمهم "الشتي" فليدخلوا إلى الدكاكين و"يتخبوا فيها ليخف الشتي"، وهذا يحصل في معظم الأحيان والأولاد عائدون من المدرسة.

أغنية أخرى لإلياس الرحباني غناء جاد وأسامة الرحباني. هذه الأغنية عن البيئة وقطع الأشجار. هي تتكلّم عن *"شجرة واحدة قدّام البيت"*، يُحبّها الأولاد ويلعبون في "فيّاتها" ويطيرون من الفرح، وهي شجرة "عتيقة وخضرا كتير كتير"، وفيها العصافير "من عبكرا" أي من الصباح الباكر، إلى أن جاء يوم استيقظ الأولاد ولم يجدوا الشجرة "قُطعت" و"غابوا العصافير"، وغابت "الفيي وقت الضهريي" فزعل الأولاد. تحمل هذه الأغنية المعلومات للأطفال عن أهميّة الشجرة للإنسان والطيور وأنّ قطعها خسارة للإثنين.

في أغنية *"البحر"* لماجدة الرومي، معلومات كثيرة تُقدّم للطفل وهي تتناسب مع الطفولة المتوسطة والمتأخرة: البحر واسع، الموج لا يهدأ ولا يتعب، في البحر ياقوت، حدود البحر هي السماء في إشارة إلى الأفق، في الليل يسهر مع النجمة، وعند الغروب تختفي الشمس في البحر. وفي المقطع الأخير طلب ودعاء أن "يعبي شباك الصيادي" وأن "يردّ المراكب ويحميها" لأنّ أطفالهم بانتظارهم "عم بيصلّوا"، وهذا ما يُعزّز شعور مشاركة الطفل مع الأطفال الآخرين وتعلّقهم بآبائهم، ومن ناحيةٍ أخرى تُبيّن أهميّة الصيادين ودورهم بالإضافة إلى تكوين مفهوم المغامرة عند الطفل. كما تُضيف هذه الأغنية مصطلحات عديدة إلى قاموس الطفل: البحر، الموج، الشط، الياقوت، شباك الصيادين، المراكب.

٥-أغاني المدرسة والتعليم والتربية

تدخل الأهداف التربوية في معظم أغاني الأطفال ولكنّها في هذه العيّنة أكثر وضوحًا ومباشرةً.

تتناسب أغنية شوشو *"الف وب بوبايي"* مع أطفال الروضات والمرحلة الابتدائية، فهي تتمتع بلحنٍ جميل يستسيغه الأولاد، ويسهل عليهم ترديده. وهي أيضًا تجمع التعليم والتربية والمعلومات إلى جانب الفرح والترفيه، بالإضافة إلى التراث. فهي أوّلًا تُعلّم الأولاد على الأحرف الأبجدية، ويترافق كلّ حرف بمصطلح مقابل، من هذه المصطلحات ما هو بالفصحى، ومنها ما هو بالعامية وهي بمعظمها من البيئة المحيطة للطفل، يخرج عن هذا الإطار مصطلح "غندورة" و"فرفورة". وقد أغنت الحقل المعجمي للطفل بمصطلحين جديدين "صنعتنا" و"كرامتنا"، كذلك أعطت الطفل معلومتين جديدتين "الثريا للإضاءة"، و"السكر للتحلية". كما أنّها لفتت النظر إلى أهميّة أن يكون الطفل "مُتربّي" وإلّا "الدّدي" تنتظره، وهو مصطلح شائع ومتعارف عليه في الأسر يُستخدم مع رفع السبابة لتهديد الطفل تهديدًا بسيطًا، يترافق مع تدريبه على المسموح والممنوع. وفي هذه الأغنية فرح وتسلية يعيشها الطفل مع الغناء، إذ أنّ الأطفال هم الذين يذكرون المصطلح "أمّي"، "بيي" وباقي المصطلحات مقابل الحرف الذي يذكره شوشو، كذلك فكلمة "بوبايي" بحدّ ذاتها هي مصدر للضحك. ويأتي صوت فيلمون وهبي ليضيف نكهة محبّبة على الأغنية بطريقته في لفظ العبارة الأخيرة بعد كلّ مقطع، مثل "يا عيني كيف مضواية" أو "ددّي للبلا ترباية". وفي الأغنية أيضًا بعضٌ من تراثنا إذ أنّ "الزيت والزعتر" و"السمن والسكر من أنواع السندويش "العروس" بالمصطلح اللبناني، "الزيت والزعتر" ما زالت مشهورة حتى اليوم، أمّا "السمن والسكر" فلم تعد رائجة.

"قوموا ناموا" لشوشو، من الأغاني التي تحمل رسالة تربوية للأطفال فهي تهدف إلى تعليمهم على أهميّة النوم الباكر، فهو يُعطينا الصحة الجيّدة، كذلك الاستيقاظ باكرًا. وتتابع الأغنية لتعلمهم بأنّ السهر لا يكون يوميًا، وتُشجعهم على النوم بطريقة تتناسب مع الأطفال، إذ أنّ "المخدّة" هي التي تُناديهم للنوم، وأخيرًا تُشجّعهم أكثر، فتُبيّن لهم بأنّهم لن يناموا وحدهم، فالكبار سينامون أيضًا لأنّهم "تعسوا وغفيوا".

أغنيتان يفصل بينهما أكثر من أربعين سنة تتناولان الموضوع ذاته: *"شوشية عالشوشية"* لشوشو، و*"شاطر شاطر"* لنانسي عجرم. في الأغنيتين حالات يُقيَّم فيها أداء الطفل، فهو شاطر عند نانسي وهو يتمتع بالكثير من الحب والاهتمام والتكريم عند شوشو. وفي الأغنيتين يُشارك الأطفال في الغناء. فهم مع نانسي يُردّدون "شاطر، شاطر" بعد كلّ مقطعٍ تُبيّن فيه نانسي عملًا جيّدًا قام به الطفل، ومع شوشو هم يعرضون عليه حالات كان الطفل فيها جيّد السلوك ويسألونه عمّ يحصل معه، وشوشو يُجيبهم بالمكافآت الجيّدة التي يحصل عليها لقاء ذلك من العصفورة "بتغمر خدو وبتبوسو"، ومن الماما "بحضنها بتضمو"، ومن البشورة أي الفراشة "بتجبلو هدية حلوة عالأعياد"، كذلك يصبح متل عنتر إذا "نام بكير". فالحالات هي ذاتها في كلّ زمان ومكان، ومنها احترام الأم وسماع كلمة الأهل و"بيقعد عاقل"، معرفة الدروس والنجاح و"ما بيعذّب معلمتو"، المحافظة على الثياب جديدة وعدم اتساخها بالأكل، بالإضافة إلى إنّه "ما بيكذب بحياتو" و"ما بيكسّر ألعابو". الأغنيتان محببتان عند الأطفال فالكلام واللحن قريبٌ منهم، والتشجيع والتحفيز على السلوك الحسن يلقى صدىً طيّبًا في نفس الطفل. لكنّ شوشو يُتابع الموضوع نفسه وبالطريقة ذاتها في أغنية أخرى لسلوك معاكس، وبدل المكافآت يحصل الطفل على التهديد والوعيد بأشياء مخيفة، "الفارة بتاكلو ضرسو"، و "البيسي بتاكلو تمو"، وبالعقاب "بيركع ساعة ع ركابو"، وبالإهانة "بيضحكو عليه صحابو"، وبالمرض والبقاء صغيرًا. هذه الأغنية المعاكسة لكلّ الإيجابية التي أعطتها الأغنية الأولى للأطفال، لا تتناسب أبدًا مع أسلوب التربية الحديثة القائمة على التحفيز الإيجابي.

ومن أغاني المدرسة اشتهرت وما زالت أغنية *"خلصت السنة يا مدرستي"* التي وضعها إلياس الرحباني، غناء غسان وجاد الرحباني. أغنية يحبّها الأطفال لأنّها دليل على انتهاء العام الدراسي. يغنون بفرح وبحماس وبشكل خاص عند عبارة "بخاطرك بخاطرك" يلوّحون بأيديهم وداعًا مع الأمل باللقاء "السنة اللي جايي". والأغنية تلفت نظر الأطفال إلى أنّ المدرسة، الملاعب،

الساحات، الشبابيك والأبواب كلّها حزينة لغيابهم لكنّ صورهن "بالزوايا مخبايي" وضحكاتهن "مضوايي"، وهذه رسالة تشجيعية غير مباشرة إلى الطفل بأنّ المدرسة تحب الأطفال وتحتفظ بصورهن وضحكاتهن من سنة إلى سنة، وهي تُعزّز شعورهم بأهميتهم وتقديرهم وتعزّز انتماءهم إلى هذه المؤسسة التربوية التعليمية.

أغنية أخرى لنانسي عجرم لاقت رواجًا هائلا. غناها الكبار والصغار، فيها اللازمة التي تحمل الفرح والمرح للأطفال *"شخبط شخابيط لخبط لخابيط"*. هذه الأغنية تحمل همّا تعيشه كلّ أم وهو الرسم على الحيطان. وهي توجّه كلامها إلى ابنها الطفل حمادة، ومن خلاله إلى كلّ طفل. فيعرف الطفل أنّ هناك عادات سيّئة وعادات جيّدة، كما ويتعلّم أنّ هناك ما هو ممنوع وما هو مرغوب. وتشجع هذه الأغنية كل طفل على الرسم "عالسبورة" أي على اللوح، كذلك تشجعه على الحلم حتى يصل، كما على اتباع الأصول في الهواية. التشجيع هو سمة هذه الأغنية، التشجيع المحكوم بضوابط في التربية، تريح الأم وتدفع بالطفل إلى الأمام.

٦-أغاني الوطن

ترتبط هذه العيّنة من أغاني الوطن بالأوضاع التي رافقت لبنان والأطفال في فترة الحرب الأهلية ومنها:

في أغاني الوطن والحرب بيّنت ريمي بندلي بشاعة الحرب وحبّ الوطن. ففي أغنية *"طفوا النار"* وجّهت رسالة إلى كلّ صنّاع الحرب لإطفاء النار "حتى نزرع وردة محلها" و"العيد لعنا يرجع"، وتتساءل عن سبب الغيمة "السودا"، وفزع اللعبة، والنجوم "اللي وقعوا"، والزهرات "اللي ما رجعوا". وكلّ طفل يعيش في الحرب يفتقد العيد والوردة، ويُغني "طفوا النار"، فهذه الدعوة تنقلها ريمي إلى أطفال الحروب ليصرخوا ويُطالبوا بإيقاف الحرب.

وفي أغنية "كان عنا بيت" تُبيّن الحياة الجميلة في بيتها: المرجوحة، اللعبة والبيت للعبة. وخسرت كلّ هذا مع احتراق البيت: "بردانة أنا" عبارة ردّدتها أكثر من مرّة للدلالة على الدفا الذي يُعطيه البيت للطفل، وطالبت العالم "ردّولي بيتي"، "ردّولي اللعب وحصان الخشب"، وهذه صرخة يحتاج إليها اليوم كلّ طفل يعيش الحرب وخسر بيته، وتبقى مُحقّة في كلّ زمانٍ ومكان تنتشر الحرب.

أمّا في أغنية *"يا إمّي يا أطيب قلب"* تربط ريمي بين حبّ الأم واهتمامها بأولادها ودورها في التربية على حبّ الوطن. فتخاطب الأم قائلة "علّمتيني، ربّيتيني"، فهذا دور الأم في التربية على "حبّ بلادي"، وحب الأرض والمبادئ. تُبيّن هذه الأغنية للطفل أنّ حبّ الوطن يتلازم مع حبّ الأم. والطفل يُغني لعيون أمه التي لا تنام وتسهر قربه وتحمل همّه وتهتم به، و"بعينيك بشوف بلادي. "الإيمان" و "المبادئ" مصطلحان مهمّان يُضافان إلى قاموس الطفل..

وفي أغنية "يا جندي بلادي"، تنادي ريمي على الجندي وتطلب منه أن يحملها لتصل إلى الغيم وتُحضر له النجوم "تترشن هون وهونيك ويضوي لبنان"، ثمّ تنادي الجيش وتصفه "بجيش البطولة" و"حامي الطفولة"، و"أنا وخيي وإمي وبيي" و"بلادي كلها معك"، وسوف تضع صورته "حد الأرزة". تتميّز هذه الأغنية عن سابقاتها بأنّها للجيش في السلم وفي الحرب، ويُغني كلّ الأطفال هذه الأغنية في عيد الاستقلال وفي عيد الجيش، وهي تزرع في نفس الطفل حبّ الجيش، فهو رمز البطولة وحامي الطفولة وهو جندي لبنان، وموقعه "حد الأرزة"، وهذه العبارات تُضاف إلى قاموس اللغة وقاموس المعاني عند الطفل.

"يللا نعمّر يا أصحابي" أغنية لإلياس الرحباني توجّه دعوة للطفل على لسان طفل لإعمار الوطن من خلال بناء "بيوت زغيرة بوطنّا"، وهي تزرع الحافز لدى الطفل بأنّ له دورًا يستطيع القيام به حين يكبر "بكرا بنكبر يا أصحابي وكلّ الدنيي بتكبر معنا".

الخلاصة

-إلى أيّ مدى استطاعت أغاني الأطفال، التي أدّاها فنّانون لبنانيون، أن تُساهم في التنشئة الاجتماعية للطفل؟

–إلى أي مدى ساهم مضمون أغاني الأطفال، التي أدّاها فنّانون لبنانيون، في تلبية حاجة الطفل إلى اكتشاف عالمه الصغير والمجتمع الذي يعيش فيه؟

من خلال الإضاءة على مضمون عيّنة الأغاني التي وردت في هذه الورقة، لا بدّ من أنّ كلّ طفل سمع هذه الأغاني وردّدها وعاش الفرح الذي يحتاجه لنموٍّ سليم، واكتسب معارف كثيرة من بيئته الطفلية والاجتماعية، وتفاعل مع الحيوان والبيئة والأشياء، كما تفاعل مع مجموعة من السلوكيات المرغوبة اجتماعيًا وكذلك مع بعض القيم الفردية والاجتماعية والوطنية، بالإضافة إلى عددٍ من المفردات والمعاني والعبارات أغنت مخزونه اللغوي سواء بالعامية أو بالفصحى. وبذلك تكون هذه الأغاني قد ساهمت في التنشئة الاجتماعية للطفل وفي إعطائه بعض المعارف التي يحتاجها لاكتشاف عالمه الصغير الذي يعيش فيه بما يحتويه من عناصر مادية ومعنوية وإنسانية تساعده على التواصل الإيجابي مع هذا المحيط الاجتماعي. وإذا كنّا نسأل لماذا يتعلّم الطفل من الأغنية؟ يتعلّم الطفل لأنّه يُردّد الأغنية، يحفظ الأغنية، ولأنّه يسأل، والسؤال من سمات الطفولة، ونحن نُجيب ونشرح، والسؤال عند الصغار كما عند الكبار باب التعلّم.

وفي الختام، نحن نتساءل ونسأل الأهل: هل ما زالوا يُسمعون أطفالهم أغاني الأطفال؟ هل ما زالت أغاني الأطفال "تُلعلع" في البيت فيُردّدها الكبير قبل الصغير؟ هل ما زالت الأغنية وسيلة الأهل لإسكات طفلهم عن البكاء؟ هل ما زالت أغاني الأطفال وسيلة التسلية والمرح مع الطفل؟ هل ما زالت وسيلتهم لتعليم الطفل على الأرقام أو الألوان أو الأبجدية؟ وإنّنا لنسأل أمهات وآباء هذا الجيل، هل يُدركون أهميّة أن يُغنوا ويُردّدوا الأغنيات مع أطفالهم؟ هل يُدركون تأثير مرافقتهم لطفلهم في الغناء على نموّه النفسي والعاطفي؟ هل يُدركون كميّة الفرح الذي يختزنه الطفل في شخصيته عندما يُغنّي مع أهله، وتأثير هذا الفرح على توازنه النفسي والعاطفي في حاضره ومستقبله؟

ونحن نتساءل ونسأل رياض الأطفال والمدارس: هل تُستخدم الأغنية في السياق الصحيح بدءًا من دورها الترفيهي وصولًا لباقي الأدوار؟ هل هي نشاط يومي، هل هي نشاط محصور بالصف أم أنّه يُرافق الأطفال في الملعب وحصص الرياضة وغيرها؟ هل هي نشاط محصور في التحضير للحفلات؟ هل يعرف التربويون أهمية الأغنية في العملية التعليمية.

وأخيرًا فلنفكّر جميعًا كيف نجعل ضحكات الأطفال ترنّ في بيوتنا، فلنفكّر جميعًا كيف نحوّل صفوفنا إلى مكانٍ للفرح الدائم!

المصادر

Konopczynski G Kassaï I .(١٩٩٥). *L'effet du chant sur le développement langagier du jeune enfant* .les cahiers du creslef.

les comptines et leur utilite dans le developpement de l'enfant J.M.Gautier .(٢٠٠٨ ,٠٥) . . تاريخ الاسترداد ٢٠ ٠٨, ٢٠١٩، من *https://orbi.uliege.be/bitstream/2268/.../1/comptine.pdf*

Lescout M .(١٩٨٥). *Autour des comptines* .Paris ،france: Nathan٢٠١٩ ,٨ ١٥ . تاريخ الاسترداد

أحمد أبو سعيد. (١٩٨٢). *أغاني ترقيص الأطفال عند العرب* (الإصدار ٢). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين. تاريخ الاسترداد ٢٢ ٠٨, ٢٠١٩

أحمد نجيب. (١٩٩٦). *أدب الأطفال علم وفن*. القاهرة: دار الفكر العربي.

أمجد قاسم، أهمية الأناشيد في العملية التعليمية وأهداف تدريسها. (١٢ ٠٦, ٢٠١٣). *al3loom.com/?p=6812* . تاريخ الاسترداد ١٥ ٠٨, ٢٠١٩al3loom.com/?p=6812: al3loom.com/?p=6812، من

. تاريخ الاسترداد ١٤ ٠٩, ٢٠١٩، من *https://www.nizwa.com*عبيدو باشا. أربعون عاما على غياب شوشو (٢٨ ٠٢, ٢٠١٦). https://www.nizwa.com.

/. تاريخ *http://www.alhayat.com/article/796906*جمال عيّاد، ريمي بندلي في عمان: غيمة تمطر طفولة ومحبة. (٢٠ ١٢, ٢٠١٦). الاسترداد ٠٨ ٠٩, ٢٠١٩، من صحيفة الحياة: http://www.alhayat.com

*https://www.onefineart.com/artist/actors/hassan-alaa-el-*جوزف أ بي ضاهر -حسن علاء الدين المعروف بشوشو. (بلا تاريخ). *din* تم الاسترداد من https://www.onefineart.com: https://www.onefineart.com.

د. أنور عبد الحميد الموسى. (٢٠١٠ م). *أدب الأطفال... "فن المستقبل"*. بيروت -لبنان: دار النهضة العربية.

د. عبد الفتاح أبو معال. (٢٠٠٥ م). *أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم*. عمان -الأردن: دار الشروق.

). (دار الفكر، المحرر) عمّان، الأردن، الأردن: دار الفكر. 2018-ndد. محمد عبد الرزاق ابراهيم وآخرون . (٢٠١٨). *ثقافة الطفل* (الإصدار ٢ www.daralfiker.comتاريخ الاسترداد ١٩ ٠١, ٢٠١٩، من

د. نزار وصفي اللبدي، أدب الطفولة،. (٢٠٠١ م). *أدب الطفولة واقع وتطلعات*. العين -الإمارات: دار الكتاب الجامعي.

*https://ar-ar.facebook.com/notes/little-*رندة خوري، أغاني الأطفال في عمر ما قبل المدرسة تزيد ذكاء الأطفال. (٠٥, ٢٠١١). *thinking-minds* (مجلة خطوة، المحرر) تاريخ الاسترداد ١٥ ٠٨, ٢٠١٩، من https://ar-ar.facebook.com/notes/little-thinking-minds: https://ar-ar.facebook.com/notes/little-thinking-minds.

. تاريخ الاسترداد ١٠ ٠٩, ٢٠١٩، من صحيفة الراي.*http://alrai.com/article/602251.html*زياد عساف. عائلة بندلي. (٠٢ ٠٨, ٢٠١٣).

عبد التواب يوسف. (١٩٨٩). *الشعر للأطفال*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الرحمن عبد، وآخرون الهاشمي. (٢٠١٤ م). *أدب الطفل وثقافته*. عمان -الأردن: دار الثقافة.

عزيز المجدوب. (٢٥ ٠٤, ٢٠١٣). لأغاني العربية للأطفال ... مسار تاريخي زاخر. *الصباح الفني*. تاريخ الاسترداد ١٥ ٠٨, ٢٠١٩، من https://assabah.ma/50927.html.

/. تاريخ الاسترداد ٢٧ ٠٩, ٢٠١٩، من *http://www.almayadeen.net/news/culture/610548*نقولا طعمة. (٩ ١١, ٢٠١٥). almayadeen: http://www.almayadeen.net.